المقـــدمة

الحضارة البشرية لم تكن يوماً وليدة صدفة ، أو حدث مفاجئ ، أو كانت من قبيل الأحلام التى تراود إنساناً تمنى لنفسه أن تكون له حضارة فنام ثم استيقظ فوجد حضارة شامخة فى بنائها وجزئياتها ، شاملة فى كل أجزائها .

هذا لم يحدث ؛ فالأحلام والأمانى لا يمكن أن تقيم حضارة أو تبنى أمة . فالحضارة هى مجموع الإبداع البشرى طيلة حياة الإنسان على سطح الأرض ، وسيظل الإنسان يطوِّر هذا البناء الحضارى ما بقى فى هذا الوجود ، لذا فإننا نرى أن المصطلح الأنسب الذى يحوى هذه المعانى هو ما يعرف « بالمنظومة الحضارية » ، ويعنى هذا المصطلح شموليته لجزئيات عديدة ، والتى تمثل المراحل الحضارية المختلفة طوال تاريخ البشر من حضارات ما قبل التاريخ والتى اندثرت إما لعدم تسجيلها وتدوين إبداعات تلك الحضارات ، أو لأنها دونت بلغة لم نستطع أن نكتشف شفرتها حتى الآن ، وهذا يجعلنا فى حيرة من التحديد الدقيق لبداية تأريخ الحضارة البشرية .

يلى حضارات ما قبل التاريخ حضارات بدء التاريخ البشرى ، والممثلة فى الحضارة الفرعونية (المصرية القديمة) والحضارة البابلية ، والحضارة الآشورية ، والحضارة اليونانية ، والحضارة الهندية ، والحضارة الصينية ، وقد أضافت هذه الحضارات كثيراً إلى البشرية ، حيث حدث فيها تطور واضح للفكر البشرى ، وحاولت كل حضارة فى تلك الآونة أن تطور نفسها وتضيف إلى بنائها كل يوم جديداً لكى تحافظ على ذاتها الحضارية وسط صراع الحضارات .

تلا تلك الحضارات : الحضارة الرومانية ، والتى لم تقدم ما هو منتظر منها ، لكن

هذا لا ينفى أنها أضافت ولو قليلاً إلى الحضارة البشرية ، ثم كانت تلك الحضارة التى انتقلت بها البشرية مراحل عديدة مهمة للغاية ، حيث تم وضع التأصيل الأولىّ لمعظم العلوم والتقنيات التى نشهدها اليوم ، إنها الحضارة الإسلامية ، والتى كان مجيئها ضرورة حتمية للبشرية لإنقاذ التسلسل الحضارى البشرى ، والذى ربما كان يتعرض للانهيار لولا مجىء تلك الحضارة التى كانت تمثل الإنقاذ الشامل للحضارة البشرية .

نتج عن الحضارة الإسلامية إشعاع حضارى كبير استفادت منه أوربا ، لتلملم نسيجها الحضارى المهترئ ، وتخرج من عصر بلا حضارة لتكوّن نسيجاً حضارياً جديداً ، ولتضع البشرية على أعتاب عصر حضارى جديد ، عصر اتسم بالسرعة المذهلة ليصل من الآلة البسيطة إلى الذرة والكمبيوتر والجين ، ونقف مع أنفسنا لنسأل: وماذا بعد ؟..

إنها منظومة معقدة من البناء الحضارى الذى ساهمت فيه العديد من الأمم ، كل أمة بقدر ما استطاعت من إضافة فى هذا البناء الحضارى البشرى ، ومِنْ ثَمَّ فالنسيج الحضارى البشرى هو نسيج شارك فى نسج خيوطه آلاف العلماء طيلة تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة حتى الآن بدءاً من أبينا آدم حتى يومنا هذا ، وقد تعارف الجميع على ذلك التقسيم الحضارى الذى ألفه البشر حيث حضارة الشرق وحضارة الغرب؛ لذلك كان كتابى هذا ، والذى يعرض لهذا النسيج التساهمى الممتزج فى هيكل وبناء الحضارة البشرية من علماء الشرق والغرب لنجيب عن أسئلة مهمة :

- ماذا أفاد علماءُ الشرق علماءَ الغرب ؟

- أو ماذا استفاد علماء الغرب من علماء الشرق ؟

- وهل سيتحقق هذا التكامل العلمى بين علماء الشرق والغرب فى عصر الهندسة الوراثية ؟

- وهل يمكننا القول بأن هذا الخليط الحضارى المركّب قد جعل البشرية تصل إلى درجة التكامل فيما بينها ؟

- وماذا أفادت البشرية من هذا التكامل ؟

لذا كان هذا العرض لنماذج من العلماء الذين أضافوا إلى البشرية ، وقد حرصت على أن أضم إلى هذه القائمة علماء من الشرق ، وعلماء من الغرب ، وهدفى من ذلك شيئان:

أولاً : إيضاح التكامل فى بناء النسيج الحضارى البشرى .

ثانياً : إيضاح التسلسل فى بناء النسيج الحضارى البشرى .

ونقصد بالتسلسل فى البناء الحضارى ضرورة وجود الماضى ليبنى عليه الحاضر وينطلق منه المستقبل ، فلولا ذلك الصرح والأساس الحضارى المتين ، والذى يمكننا أن نسميه بالتأصيل الأولىّ لعلوم وتقنيات العصر الحديث ما شهدنا تلك الثورات العلمية الآن من ثورة علوم الفضاء ، والذرة ، والكمبيوتر ، والاتصالات ، والهندسة الوراثية ، لنصل فى النهاية إلى تحقيق وتأصيل مفهوم أن الحضارة هى حضارة للبشرية جميعاً ، وليست حضارة أمة دون أمة ، كما أنها حضارة كل العصور ، فهى حضارة الماضى ، وحضارة الحاضر ، وحضارة المستقبل .

والله الموفق .

د/ عبد الباسط الجمل